



مساح لحفظ التراث اليهودي



لم يبق إلا الذكريات



الإهمال يضع تاريخنا بأكمله في مهب الريح

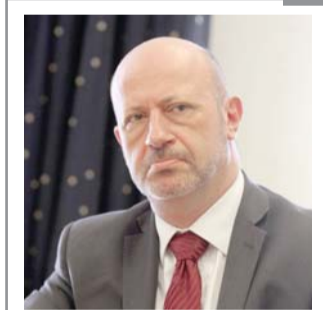
إرث يهود العراق مبان آيلة إلى السقوط وموسيقى تحفر القلوب

يهود العراق متمسكون بترائهم المتجذر في البلاد رغم ترحيلهم القسري



إحياء الطقوس يحيي أمل العودة

أكن أعرف أيا من أصدقائي أهو سني أو شيعي أو أرمني أو مسيحي. التسامح هو ما حملناه معنا من ذكريات". وأكد أن "الجالية اليهودية العراقية في الخارج هي من بين الجاليات الأكثر تمسكا بأوجه حياة وطنها الأصل، وتتحدث اللهجة البغدادية، ويعزف أنبأؤها موسيقى الغناء العراقي ويؤدون المقام العراقي، باحتفالات أسرية مرتين بالأسبوع، وياكلون الخبز العراقي مثلما كانوا في العراق، بينما جاليات يهودية أخرى من أوروبا لا تكاد تتذكر شيئا من بلدانها الأصلية.. ناشد الحكومة العراقية السعي إلى وضع الآثار اليهودية في قائمة ما تهتم به منظمة اليونسكو من آثار، لأنها ذات قيمة تاريخية وثقافية إنسانية".



أدون شكر:

ناشد الحكومة العراقية أن تسعى إلى وضع الآثار اليهودية في قائمة اليونسكو، لأنها ذات قيمة تاريخية



شلومو صالح الكويتي:

والذي بقي متمسرا على حياته في العراق بعد أن عاش مع شقيقه الفنان داود حياة صعبة جدا في إسرائيل

أو زواج، بمعنى أن القضية ليست قضية أرشيف بالأساس، إنما بما تحويه هذه المستندات الشخصية من معان رمزية بالنسبة لبنا أكثر من كينونتها المادية، رمزية المواطنة التي تربو على الفن ويستمتة عام في أرض العراق". ويحتوي الأرشيف على أكثر من عشرات الآلاف من الوثائق، وما يقرب من 2700 كتاب، تم عرض 24 قطعة منها فقط في المعرض، ومن بين هذه القطع شهادتي المدرسية، كما أوضح شكر، الذي قام بزيارة المعرض.

وتابع شكر "العراق هو مهد الديانة اليهودية التي تمتد لأكثر من 2600 عام، وبالتالي فالجالية اليهودية العراقية تشعر بمسؤولية ثقافية على كاهلها للعب دورها في مد جبال الوصل التاريخي لهذا الإرث العميق الضارب في الجذور، وخصوصا بعد أن استؤصل العرق اليهودي من العراق بنزعات سياسية وعصبية معروفة وأندام التسامح". وأضاف "لقد سلبت الجنسية العراقية من يهود العراق قسرا، ويوجد أكثر من 450 ألف يهودي عراقي في الخارج، لا يحمل الجنسية العراقية منهم سوى أقل من عشرة أشخاص".

وأشار "نحن اليهود العراقيين نبحث عن اللحظة التي نتمنى فيها من الحكومة العراقية أن تحقق التعايش ويعود التسامح إلى عراقنا الحبيب، وحينها سنطلب من الحكومة العراقية ونفوسنا إليها أن تحتفظ بأرشيفنا كي يكون شاهدا على الألفي والستمئة عام التي عشناها على تلك الأرض، وتعيد إحياء التراث اليهودي والمعابد والأضرحة والأنبياء العشرة حتى نفتخر ونعتز نحن وأبنائنا من بعدنا بوطننا وجنورنا العراقية".

وقال "كنا نعيش في حي البتاوين، وكان الحي يضم مسلمين سنة وشيعة ومسيحيين ويهودا وأناسا من جميع الديانات والطوائف، وكنت صديقا صغيرا لعب واتجول في شوارع الحي بينما لم

إسرائيل، وقالت "لا حياة تعادل حياتهم في العراق". وشكل الموسيقار العراقي صالح الكويتي مع شقيقه داود فرقة موسيقية عراقية قبل افتتاح دار الإذاعة العراقية كانت تقيم الحفلات، ومن ثم الفرقة الموسيقية الأولى في دار الإذاعة العراقية عند افتتاحها عام 1932.

ولحن الفنان العراقي، المولود في مدينة الكويت عام 1908 أكثر من 500 لحن لأصوات عراقية مثل صديقة الملية ونرجس شوقي ومييزة الهوزور وزكية جورج وسليمة مراد وغيفقة إسكندر.

وأشار شلومو الذي ولد في إسرائيل ولم يزر العراق بلد آبائه لكنه يتقن اللغتين الإنجليزية والعربية، إلى أن والده لم يتحدث له عن شهرته الفنية في الأوساط آنذاك، لكنه كثيرا ما كان يتحسر على أيامه في العراق، ولم يكن يفقد خصوصيته العراقية حتى آخر أيام حياته.

وكان أدون شكر، أحد أفراد الجالية اليهودية العراقية الذي غادر بلده منذ سبعينات القرن الماضي، سبق وأن تحدث عن تفاصيل قضية خروج أرشيف يهود العراق وظهوره بمعرض أميركي، قائلا "لم يتضمن الأرشيف أي وثائق وطنية نفيسة بالمعنى المعروف من الآثار والوثائق، لكن الحقيقة الغائبة عن الأذهان أن الجالية اليهودية لا تتوقف عند ورقة شهادة ميلاد

الأوقاف والشؤون الدينية للإقليم مريوان نقشبندي الذي كانت إحدى زوجات جده يهودية.

وتقول سلطات الإقليم إن حوالي 400 عائلة من أصل يهودي تعيش في كردستان العراق، لكنها اعتنقت الإسلام وسجلت رسميا كسلمة.

وأكد شيركو عثمان عبدالله، الممثل الرسمي حاليا لليهود في الإقليم، أنه لا يعرف حقيقة مجتمعه، قائلا "لا أعرف عدد العائلات اليهودية التي لا تزال تعيش في كردستان لأن أغلبها تمارس دينها في الخفاء طالما أن القول نحن يهود يعتبر موضوعا حساسا في العراق والشرق الأوسط" بشكل عام.

ومع ذلك، كان الإحساس الحقيقي بالهوية لا يزال مقيودا. وتقدم عبدالله بطلب للحصول على إذن رسمي لبناء مركز للجالية اليهودية لكنه لم يحصل على موافقة رسمية.

وأضاف عبدالله (58 عاما) "أريد أن يأتي زعيم يهودي ليعلمنا العادات الصحيحة لكن هذا غير ممكن في ظل الظروف الحالية"، فالصلة بين العائلات القليلة المتبقية واليهود من أصول عراقية في إسرائيل، تتراجع.

وتابع "الآن يهود العراق الذين غادروا إلى إسرائيل في خمسينات القرن العشرين ما زالوا يجدون طرقا للعودة إلى المنطقة الكردية بيوياهم العراقية.. لكن في غضون خمس سنوات، سيموتون وسيتم قطع العلاقة بأكملها". وقبل ثلاث سنوات، بدأ تنفيذ أعمال ترميم ضريح النبي ناحوم في القوش بغلق تمويل قدره مليون دولار قدمته الحكومة الأميركية، إضافة إلى تبرعات مقدمة من حكومة الإقليم وأخرى من أفراد.

وبصمات اليهود ليست موجودة في إقليم كردستان وحده، بل موجودة أيضا في الموصل (شمال) والبصرة (جنوب) والرمادي (غرب) والعاصمة بغداد، حيث كان يوم العطلة الأسبوعية هو السبت لفترة طويلة بدلا من يوم عطلة المسلمين الجمعة كما هو الحال اليوم. وكانت هناك عائلات فقيرة منهم في العراق، لكن كانت هناك نخبة ما زال العراقيون يستذكرونها، تضم مطربين كبارا وفنانين الفولكلور الموسيقي البغدادي. وأشهر هؤلاء كان ساسون حسقييل وزير المالية في أول حكومة عراقية في عهد الانتداب البريطاني عام 1920.

وقال رفعت عبدالرزاق، المختص بالتراث اليهودي في بغداد، إن حسقييل كان "أول من وضع أسس النظام المالي العراقي". وكان اليوم منزل حسقييل الواقع على ضفاف نهر دجلة، مهجور ودمر جزء منه، وأكد عبدالرزاق "لا يوجد اهتمام بالموضوع، لا سياسيا ولا في الأبحاث"، مضيفا بحسرة "لم يبق شيء، لم يبق إلا الذكريات".

وقال شلومو في تصريح لصحيفة "العرب" اللندنية في لقاء من العاصمة البريطانية لندن إن والده كان "يتحسر" على حياته في العراق بعد أن عاش مع شقيقه الفنان داود حياة غاية في الصعوبة في إسرائيل.

وأضاف أن أمه وهي ابنة خالة والده عبرت لاحقا عن ندمها على الهجرة إلى

رحل يهود العراق قسرا وسُلبت منهم الجنسية العراقية، لكن آثارهم ما زالت شاهدة عليهم وعلى تعدد الطوائف في بلاد الرافدين، وهو ما يحاول عدد قليل منهم إنقاذه من الاندثار والإهمال، حتى أن منهم من يناشد الحكومة العراقية السعي إلى إدراج هذا الإرث ضمن لائحة اليونسكو.

أربيل (العراق) - اعتاد الصحفي المخضرم عمر فرهادي في صغره تسخين الطعام لجيرانه اليهود أيام السبت. واليوم لم يعد هناك وجود لليهود في إقليم كردستان كما في بقية أنحاء العراق، لكن إرثهم ما زال موجودا.

وتفيد الرواية التاريخية بأن أبا الأنبياء إبراهيم ولد في أور جنوب العراق، كما ورد في بعض الروايات أن جنات عدن تقع في قلب أهوار العراق، وهناك أيضا كتب التلمود البابلي.

وعاش اليهود بإيمانهم الراسخ بهذه الجذور لسنين طويلة في هذا البلد، حيث شكّلوا ثاني طائفة في بغداد أو أربعين في المئة من سكانها، وفقا لإحصاء أجرته الإمبراطورية العثمانية في 1917.

لكن خلال القرن الماضي وبسبب تصاعد التوتر في المنطقة وقيام إسرائيل، فر معظمهم وتمت مصادرة ممتلكاتهم وتلاشت إمكانية عودتهم إلى العراق. ووفقا لرائع عبدالرحمن كوهين، يهودي كردي عراقي، وهو يقف أمام كنيس يهودي مدمر في أربيل، تاريخيا شكّل اليهود ثاني أكبر طائفة دينية في العراق، حيث شكّلوا 40 في المئة من سكان بغداد.

وأضاف كوهين "لكن منذ قيام إسرائيل تصاعد التوترات الإقليمية مع الحملات المعادية للسامية، مما دفع معظم يهود العراق إلى الفرار". واليوم، يحفظ العراقيون ذكريات طيبة عن أصدقائهم وجيرانهم اليهود، بما في ذلك فرهادي البالغ من العمر 82 عاما، والذي كان والده يمتلك متجر في منطقة ذات أغلبية يهودية في أربيل.

ويستذكر فرهادي الذي ولد في 1938 بحي طاجل اليهود القريب من قلعة أربيل بشمال العراق، تلك السنين كما لو كانت البارحة، مشيرا عند زقاق قيصرية أقدم سوق في مدينة أربيل يضم حاليا دكاكين "هنا كان مكان دكان وكشكين آخرين لوالدي، بعدها كل الدكاكين كانت لليهود أكراد".

وكان لفرهادي في المدرسة العديد من الزملاء اليهود، وحتى معلم اللغة الإنجليزية كان اسمه بنهان عزرا سليم، وأضاف "وهو جاء في أحد الأيام ليودع معلمنا للغة العربية وهو مسلم اسمه خضر مولود، وكشف أنه مغادر إلى إسرائيل، احضننا بعضهما وهما بيكيان"، معتبرا أنه "كانت هذه نهاية اليهود في أربيل".

وفي 1948 سنة إعلان إسرائيل، كان عدد اليهود الموجودين في العراق يبلغ 150 ألف شخص. وبعد ثلاث سنوات كان 96 في المئة منهم قد رحلوا. وهاجر من تبقى منهم بعد الغزو الأميركي للعراق في 2003، الذي دشن 15 عاما من العنف شبه المتواصل.

وكشفت واحدة من الوثائق الدبلوماسية التي نشرها موقع ويكيليكس أن الجالية اليهودية في بغداد كانت تضم ثمانية يهود فقط في 2009.

وأشارت إحصائيات رسمية إلى وجود 219 ألف يهودي من أصل عراقي في إسرائيل يشكلون أكبر مجموعة لليهود من أصول آسيوية. وقد صادرت



بصمات اليهود ليست موجودة في إقليم كردستان وحده، بل أيضا في الموصل والبصرة والرمادي والعاصمة بغداد

